حرية
سياسية ■ إسبوعية ■ مستقلة
تصدر عن مركز الكرامة الإعلامي

www.hurrriya.com
حرية – العدد (٥١) ٢٠١٣/٨/٢٦

السياسة الأمريكية بين ثبات الاستراتيجية ووهم الخيارات

سامي شيحان

منذ دخل باراك أوباما السباق باتجاه البيت الأبيض، حدد خياراته التي ندفع ثمنها الآن في سوريا، فهو قد وعد ناخبيه الأمريكيين بتحسين الوضع الاقتصادي عبر سحب الجيوش الأمريكية إلى داخل الحدود.

على هذه الأرضية يمكننا أن نقرأ المواقف الأمريكة المتباينة إذاء الثورة السورية، من تصريحات رئيس هيئة الأركان مارتن ديمبسي بأن لامصلحة لأمريكا بأي تدخل ولو محدود في سوريا، والذي سبق المجزرة الكيماوية بساعات قليلة. إلى تلكؤ الادارة الأمريكية في تحديد خياراتها بعد المجزرة، خاصة وأن الرئيس أوباما قد تورط بشأن الخط الأحمر الكيماوي، الذي تحول إلى كاريكاتير مفضل في الاعلام الغربي عموما.

خاصة عندما يطالبه خصومة في الكونغرس الأمريكي بتحرك فوري إذاء مجزرة الكيماوي في ريف دمشق، فيسارع للرد عليهم بتوضيح الأساس في سياسته أن: «الامريكيين ينتظرون منا أن نحمي مصالحهم البعيدة الأمد على صعيد الأمن القومي، لكن أن نجنب البلاد الوقوع في مستنقعات خارجية أيضاً».

ويرى كثيرون إمكانية أن تتخذ الإدارة الأمريكية خطوات رادعة ضدّ النظام السوري، دو أن تتورط بمستنقعات خارجية، غير أن الخيارات التي تدرس الآن للرد على الهجوم الكيميائي في حال ثبت حصوله، لا تتضمن نشر قوات على الارض، أو إقامة منطقة حظر جوي فوق سوريا، فالرئيس الأمريكي يخشى أن ينزلق على قشرة الحظر الجوي، كما حصل في ليبيا، وستكون التكلفة البشرية أو المادية في سوريا باهظة أكثر برأيه.

ما لم يُدركه الرئيس أوباما أن تلكؤه عن التدخل السريع لاسقاط نظام الأسد، هو الذي رفع كلفة أي مغامرة قادمة، وهو الذي منح روسيا وإيران نقاط تفوق بالمعنى اللوجستي قد يصعب تغييرها في قادم الأيام، وهو الذي جعل خيار المتطرفين الإسلاميين من «النصرة» إلى «دولة العراق والشام» رقما حقيقياً في المعادلة، والقضية، أن أوباما ليس لاعبا فردا في السياسة الدولية، لذلك حين تحجم إدارته عن أخذ دورها المفترض كقوة عظمى، ستفسح المجال بذلك لخصومها أن يتقدموا. وليس التناقض بين بعض التصريحات التي تصدر عن الخارجية الأمريكية، وتلك الصادرة عن المؤسسة العسكرية، إلا انعكاسا للتباين بين الاستراتيجية الثابتة لادارة الرئيس أوباما فيما يتعلق بالصراعات الخارجية، وبين محاولات الديبلوماسية الأمريكية أن ترتقي ببعض التصريحات إلى مستوى يليق بدولة عظمى إذاء ما يجري في العالم.

ففي هذه الاثناء نسمع خليطا من الأخبار عن خيارات أمريكية، عن نوايا في البيت الأبيض، عن زيادة عدد قطع الأسطول السادس في المتوسط من ثلاثة إلى أربعة، بل ذهبت صحيف «لوفيغارو» الفرنسية باتجاهات أكثر إثارة حين وضعت عنوانها التالي: «انطلقت العملية ضد الأسد: فرق كومندوس فرنسية وإسرائيلية وأميركية تتقدم نحو دمشق»، مما يوحي أن المعركة باتت قاب قوسين أو أدنى من لحظة اسقاط الأسد، مع أن تفاصيل المادة تمنحنا جملة من التحليلات قد نتفق معها أو نختلف، لكنها تمنح النظام معلومة تسيء للثورة جداً، حين تؤكد أن فرق إسرائيلية تشارك الآن في المعارك ضد النظام.

نستطيع الرد بأنها أضغاث أحلام، وأن الرئيس الأمريكي وحتى يثبت العكس سيبقى أثير تردده القاتل بالنسبة لثورتنا، وأن الكثير من النوايا الغربية الطيبة لن تستطيع أن تجد طريقها إلى المنطقة، مالم يتستيقظ المايسترو الأمريكي من سباته أو من خوفه المزمن.

الافتتاحية

حساب الكيماوي في بيدر الثورة

أنور بدر

منذ البداية، أختار الأسد الدفع باتجاه عسكرة الثورة، ظناً منه أن القوة العسكرية والأمنية لنظامه، وطبيعة تركيب هذه القوة، ستسمح له بتحقيق انتصار سريع في القضاء على من أسماهم عصابات إرهابية، قبل أن تطلق رصاصة واحدة من قبل المعارضة السورية.

غير أن سياق الأحداث، ورغم تطور أدوات مواجهة النظام عسكرياً للثورة، باستخدام البراميل المتفجرة والقنابل العنقودية، باستخدام مكثف للطيران الحربي وصواريخ سكود متوسطة وطويلة المدى، لم يمنحه أي تفوق عسكري على الأرض، بل خسر سيطرته على أكثر من نصف مساحة سوريا، كما سيطر الثوار على كتائب للدفاع الجوي، وعلى مطارات وقواعد عسكرية مهمة، إلى الدرجة التي أصبح مضطرا فيها لتشكيل ميليشيات «جيش الدفاع الوطني»، وقبول دخول ميليشيات أجنبية ذات طابع وتكوين طائفي، دون أن تمكنه من حسم المعركة. بل وأصبح واضحاً انقلاب ميزان القوى لصالح الثورة إثر السيطرة على خان العسل ومطار منغ العسكري، مع تقدم ملحوظ من درعا وريف دمشق إلى دير الزور، إضافة لإطلاق معركة تحرير الساحل أيضاً، مما دفع بالنظام اليائس إلى استخدام طلقته الأخيرة في ضربة موسعة بالسلاح الكيماوي، شملت عدة مدن وقرى في الغوطتين الشرقية والغربية التي يسيطر عليها الثوار، كمحاولة لإزالة هذا التهديد لسيطرته على العاصمة، ومنح عناصر قواته المنهارة بعض التوازن المعنوي.

لن أتحدث عن خزلان العالم لثورتنا، لكنني سأقول أن حساب الكيماوي يكون في بيدر الثورة، وهو ما نشهده من معارك جريئة وحاسمة في مدينة أريحا ومحيطها من ريف إدلب وصولاً إلى ريف حلب، هو ما نشهده من صد محاولات النظام اقتحام حي جوبر الذي لم يدفن بعد كل شهدائه، وفي إسقاط طائرة ميغ بين زملكا وجوبر، كما أعلن الجيش الحر أيضاً من إسقاط طائرة ميغ ثانية في بلدة البحارية بريف دمشق أيضاً، والبقية تأتي بإسقاط النظام.

حرية – العدد (٥١) ٢٠١٣/٨/٢٦

هل بدأ النظام حربه الكيميائية الشاملة والصريحة؟

نبيل حيفاوي

الأربعاء في الحادي والعشرين من آب ٢٠١٣، ليس يوما عاديا في وحشية النظام القاتل.

قرى وبلدات الغوطة الشرقية، ومعها معضمية الشام، تعرضوا للقصف الصاروخي المحمل بالرؤوس الكيماوية. وحتى الآن (٢١ آب)، بلغ عدد الضحايا أكثر من ألف، بينما المصابين، بلغوا عدة آلاف. وكل ساعة يقضي عدد منهم دون التمكن من إنقاذهم.

ليست المرة الأولى التي يستخدم فيها النظام السلاح الكيماوي، في الغوطة وفي حلب و حمص وريف إدلب وسواهم، لكن ما جرى اليوم، كان أقرب إلى إعلان واضح عن استهتارالنظام بكافة القيم، وعدم الاهتمام بالتحذيرات الدولية حول استخدام أسلحة الدمار الشامل، بل وربما هناك من أعطاه الضوء الأخضر لهذا العمل كروسيا، ومن ترك له الطريق سهلا لممارسة أبشع الأعمال ضد الشعب السوري كأميركا ودول الغرب، وذلك على خلفية التحالف معه في الحالة الأولى، أو عدم الجدية بردعه في الحالة الثانية.

لكن وبصرف النظر قليلا عن الجانب الإنساني والأخلاقي الذي كشفت العملية عن دوس النظام على أبسط مبادئه، فالعملية البربرية في استخدام الكيماوي هي أولاً وآخراً تأتي في إطار استراتيجية عسكرية، يريد منها النظام تحقيق تقدم على الأرض.

لنعد إلى ما بعد اجتياح النظام للقصير، سنلاحظ أن نشوة النظام منها، جعلته يعتقد أن الطريق باتت سهلة لإنجازات أخرى كبيرة وشاملة، حتى أن أبواق النظام وحلفائه، اعتبروا القصير بداية النهاية للثورة بشكل تام.

وراح النظام يتحدث عن «أم المعارك» في مدينة حلب وريفها، وركز حملته في حمص، ووسعها ليحاول مجددا في غوطة دمشق، وبالفعل جن جنون قواته وحلفائه، مأخوذين بوهم انتصارات كبيرة بعد القصير، وكانت النتيجة توسع سيطرة قوات الثوار على الأرض، باستثناء تقدمه هو في أحياء حمص المحاصرة منذ أكثر من عام ونصف.

كانت معركة خان العسل، في منطقة بين ادلب وحلب، وسقوط مطار منغ ، الأكثر أهمية بين مطارات الشمال، وتقدم الجيش الحر في درعا والقنيطرة جنوباً، وفي أحياء العاصمة كالقابون وجوبر وبرزة، كلها تشير إلى نتائج عكسية أنزلت بالنظام هزائم ساحقة.

وعاد الوهن يدب في صفوف قواته وحلفائه، خاصة وأن جزءاً كبيراً من قواه، اندفعت نحو منطقة الساحل، عندما أحرز الجيش الحر تقدما فيها، وأصبحت قواه البشرية والآلية، أقل بكثير من حاجته للصمود، أو لاستعادة مواقع قد خسرها، إذ تحركت قوات النظام من المنطقة الجنوبية والوسطى لتدعم منطقة الساحل الاستراتيجية لدى النظام.

هذه التطورات أظهرت خللا كبيرا في الانتشار العسكري الميداني، وقلة في الموارد البشرية، وبطئاً في تحريك القوى المؤللة من منطقة إلى أخرى.

في هذا الواقع، لاحظ النظام ضعف قواه في العاصمة، وعجزه عن جلب دعم للعاصمة من مناطق أخرى، هنا كان سلاحه الوحيد، باعتقاده، للتعويض عن قدراته الكلاسيكية (مدفعية، صواريخ، طيران، دبابات)، هو استخدام الكيماوي في العاصمة وريفها، فالعاصمة عنده هي الحصن الذي يسعى كي لا يخسره.

هنا لابد أن نرى الجانب الحقيقي لاضطرار النظام استخدام الكيماوي في العاصمة، حيث على وحشيته، فيه دلالة تقهقر واضح في القدرات القتالية، والعجز عن الوقوف في وجه التقدم الذي حققه الجيش الحر في ريف دمشق وأحيائها الشرقية والجنوبية.

نحن هنا أمام حالة انهيار حقيقي، أفقدت النظام صوابه، ونشرت الذعر في مراكز قراره، التي لم تجد أمامها سوى السلاح المحرم دوليا، سلاح التدمير الشامل، عله يعدل موازين القوى لمصلحته في محيط العاصمة وأحيائها القريبة. ولعله من المفارقة، أن يقوم النظام بهذا العمل الإجرامي الوحشي، واللجنة الدولية المكلفة بالتحقيق في موضوع استخدام الكيماوي، قد وصلت إلى دمشق، بل هي لا تبعد ُن مناطق التفجير كجوبر ثلاثة كيلو مترات فقط.

فهل هو التحدي والاستهتار؟ أم الخداع والتضليل؟

لقد أنكر النظام استخدام الكيماوي في الحادي والعشرين من آب ٢٠١٣، كعادته، ورهانه في هذا الإنكار، يقوم على تهاون المجتمع الدولي في اتخاذ القرارات الملزمة لدخول المحققين إلى مناطق القتال دون موافقة النظام. وهو لن يوافق على أية خطة للتفتيش تؤدي إلى كشف الحقائق.

وعندما يرفض النظام حرية لجان التحقيق، فليس ذلك اعتمادا على ثقته بنفسه، لولا اعتماده على الفيتو الروسي. وبالاستناد الى ذلك يستطيع النظام، الجمع بين الكذب الفاضح، والتحدي للمواقف الدولية (مجلس الأمن)، حيث الفيتو الروسي بالمرصاد، والتخاذل خارج مجلس الأمن هو السمة الملازمة للموقف الدولي ولاصدقاء الشعب السوري حيال المسار الإجرامي الذي يمضي به النظام.

لكن هل ستبقى المواقف الدولية عند تقاعسها إذاء ما حصل اليوم في الغوطة الشرقية والمعضمية، وما يمكن أن يتوسع اليه استخدام الكيماوي بشكل سافر؟

في التجربة السورية اتضح أن القوى الدولية المؤثرة أميركا وأوروبا لاتزال تنظر للوضع بطريقتها الخاصة، ولأجنداتها الخاصة، ولها من المبررات الكثير للإحجام عن اتخاذ القرارات الحاسمة بما يرفع البطش والموت عن الشعب السوري. حتى اللجنة المتواجدة في دمشق لن تقوم بالتوجه للغوطة الشرقية، لان النظام لن يسمح بذلك، وسيناور للرد على أي طلب من هذا القبيل، فالاتفاق المحدد الذي سمح النظام بموجبه لدخول بعثة المحققين، لا يتيح لها الوصول تلقائيا إلى المناطق التي قصفت بالكيماوي.

لا رهان على المحققين إذاً، ودون قرار من مجلس الأمن، أو إنذار أميركي أوروبي للنظام، لن تكون لجان التحقيق مجدية، ولن يتوقف النظام عن استخدام الكيماوي بشكل أوسع وأشد، فكلما وهنت قواه سيمضي لما تبقى لديه من أسلحة يعتقد أنها كفيلة بإنقاذه. وطالما أن هدف النظام يتعلق بميادين المواجهة، سيواجه الجيش الحر والحاضنة الاجتماعية للثورة امتحانات أشد قسوة ووحشية، وتدبر وسائل الصمود أمام هذه الوحشية، يظل ملقى على قوى الثورة التي لاتمتلك الكثير من وسائل الحماية، خاصة للمدنيين في المناطق الثائرة، ومن الصعب تقديم وصفات تكفل الحماية لهم، فالمسألة ليست مواجهة تقليدية، ولا مجال لتوفير وسائل موثوقة لمنع تاثيرات الكيماوي القاتلة، لكن يبقى هناك احتياطات وترتيبات، يمكن أن تجعل الخسائر أقل، والمهم الصمود أمام محاولات الاجتياح بعد كل استخدام للكيماوي.

قدر الثورة السورية أن تجترح المعجزات لتدافع عن أهدافها، ولتحمي قواها لتتابع نضالها نحو إسقاط النظام المتوحش.

ثمة خطر من هذه الوحشية الكيماوية، يتصل بتدمير الوجود البشري ودفعه للنزوح داخليا وخارجيا، لتفريغ المناطق الحاضنة للثورة، وإحداث خلل في البنية السكانية، يخدم منطق «الدفاع عن الأقليات» لكن بإنهاء «الأكثرية»، ودفعها خارج مدنها وبلداتها.

سيكون هذا اليوم في تاريخ سوريا وثورتها منعطفا بكل معنى الكلمة، فالنظام دخل طور الحرب الكيميائية المفتوحة والواسعة، وهو بذلك يمضي إلى إلحاق المزيد من الضحايا والدمار بالبلد والشعب، بوحشية تجعل التربة جاهزة لتطرف بكافة الأشكال، في محاولة للرد على حقد النظام ووحشيته، وهنا ستزداد الأمور تعقيدا وصعوبة على مسيرة النضال باتجاه الدولة المدنية الديمقراطية.

السرقة سياسة النظام لقتل الثورة أيضاً

نعيم نصار

أحمد، أحد القادمين السوريين من مطار بيروت إلى دمشق منذ أيام قليلة يحدثنا عن مبلغ (رشوة) يدفعه كل راكب يصل إلى ٤٥٠٠ ل.س هذا غير الأجرة، يحصله سائق التكسي من كل راكب لدفعه للحواجز الأمنية والعسكرية التابعة للنظام السوري المنتشرة على طول الطريق.

أما السيدة (سعاد) فكانت هي وزوجها محسوبة على الموالاة، لابل كانت تدافع عن أفعال قوات النظام وما أطلق عليهم لاحقا (قوات الدفاع الوطني) أي الشبيّحة، إلى أن وقعت لها حادثة، حيث باعت بيتها منذ حوالي العام، ويبدو أن الشبّيحة عرفوا أن ثمن البيت مع صاحبه، فقاموا بمحاولة لمداهمة البيت بقصد السرقة، حيث بدؤوا بالضرب على الباب بشكل جنوني، وهي التي تسكن في منطقة تحت سيطرة جيش النظام، وعندما عرف زوجها أن المهاجمين من الشبيحة، وذلك من خلال تلصصه من ثقب الباب استشعر الخطر مباشرة وعرف أنه سيتعرض للسرقة من قبلهم، فصمت وزوجته ولم يفتح الباب، ونتيجة الضجيج الذي فعلته قبضات الشبيّحة وبواريدهم استيقظ الجوار في البناء السكني الطابقي، وبعد أن تعرف عليهم عدد من الجوار اضطروا للانسحاب من المكان، ولم تنفع معهم تلك الشكوى التي قدمت لشرطة المدينة، لأنه اضطر لسحبها بعد تهديده بالتصفية من قبل الشبيّحة الذين كانوا يريدون سرقته. بعد ذلك كان من الطبيعي أن تنتقل سعاد وزوجها لصفوف المعارضة بعد هذا الاختبار الشخصي العنيف.

أما قانون العقوبات السوري، فيصل في عقوباته إلى الحبس بالأشغال الشاقة المؤقتة لمدة تتراوح بين الـ٥ سنوات و٢٠ سنة، خاصة إذا كانت السرقة من خلال تهديد السلاح، لكن السؤال: هل يستطيع أحد أن يطبق القانون على الشبيّح فواز الأسد أو على شيخ الجبل ومجموعاتهم من الشبيّحة والتي يعرفها أهل الساحل السوري قبل غيره؟.

أهالي الريف الشرقي في محافظة حماه يعانون هذه الأيام من موجة سرقات هائلة تقوم بها قطعان الشبيّحة وعناصر جيش النظام، حتى أن أحد أهالي قرية (الخريجة) يسأل الضابط الذي يشرف على سير عمليات سرقة البيوت والمزارع عن الذي يقف وراء هذه العمليات فيرد الضباط بقوله: من يقف وراء هذه السرقات قادر يروّحني ويروحك كمان.

وعن هذه السرقات يتابع الشخص ذاته تعليقه على سيارة تحمل رشاش دوشكا وهي ترافق عناصر النظام وهم يسرقون بيوت المزارعين في الضيعة، فيقول: لماذا الدوشكا؟ يكفي أن تحملوا نقّيفة، فالناس هنا لا تحمل أي سلاح وتكفي نقيفة لترهبوها.

يصرح أحد عناصر الاحتياط قائلا: ثمة تعليمات شفوية من قبل الضباط لكل العناصر بالسرقة والنهب لأي بيت أو محل أو مزرعة نمر بها. أي أن هذه السرقات عبارة عن سياسة ممنهجة، ويكفي أن نتذكر (أنه في بداية الثورة في آذار ٢٠١١ اصدر بشار مرسوم العفو المعروف الذي

أطلق بموجبه سراح ٦٣ ألف مجرم من السجون السورية، وتبعه بمرسوم آخر أطلق بموجبه ماتبقى في السجون من مجرمين لم يشملهم المرسوم الذي سبقه، وكان الهدف من هذين المرسومين خلق حالة من الفوضى والإجرام في سورية لتحويل الأنظار عن حقيقة الثورة واتهام الثوار بالإجرام والإرهاب). وهذا الكلام أورده السفير السوري المنشق عن النظام بسام العمادي، وهو ما تؤكده أعمال السرقة اليومية التي تقوم بها قطعان الشبيّحة وعناصر النظام العسكرية والأمنية.

وهناك من يتهم عناصر من الجيش الحر، أو من المحسوبين عليه بارتكاب أعمال سرقة ونهب أيضا، ففي شهر آذار في العام الحالي نشرت (الغارديان) تحقيقا بعنوان (تقسيم الغنائم يغيّر مسار الثورة السورية).

وفيه كلام عن تفشي هذه الظاهرة في مدينة حلب، وتشير في المقابل بأصابع الاتهام إلى بعض عناصر الجيش الحر الذين يتقاسمون هذه السرقات في ما بينهم؛ لا سيّما أن معظم هؤلاء يفتقدون إلى الدعم المادي والغذائي.

وحسب (الغارديان) استنادا إلى شهادات من الجيش الحر، فهنا المسؤولية تقع على عناصر الجيش الحر أنفسهم، الأمر الذي جعلها تعتبر أن أعمال النهب والنزاعات وانقسام الولاءات في مدن سورية عديدة، خصوصا حلب، باتت تهدد بتدمير وحدة مقاتلي المعارضة السورية.

تقول الصحيفة إن السيارات والأسلحة التي يغنمها المتمردون من القوات الحكومية أصبحت الآن، المحرك الرئيسي، للعديد من جماعات المعارضة المسلحة، مع سعي قادتها إلى زيادة نفوذهم. وتضيف أن أعمال السلب والنهب أصبحت الشغل الشاغل لبعض وحدات المعارضة المسلحة في مدن عدة، مما جعل الثورة في سوريا تأخذ منحى جديدا، حيث تحوّلت إلى صراع بين مجموعات المعارضة المسلحة «لتقسيم غنائم الحرب».

بينما يتحدث محمد الحلبي في الشرق الأوسط عن أعمال نهب وسرقات لمعظم العقارات والمحال التي دخلها جيش النظام وذلك في أحياء صلاح الدين وسيف الدولة والإذاعة وبستان الباشا وسليمان الحلبي. وهذا الأمر جعل

آلاف العائلات في حلب يدخلون متاهة الفقر والتشرد. ويشير الحلبي إلى أنه التقى إحدى النساء وهي تبكي وتصرخ بعدما تفقدت منزلها ودهشت لما أصابه، وقالت له إن: «قوات النظام قتلوا ابني ودمروا بلدتي والآن نهبوا بيتي، البراد والغسالة استولوا عليهما بعدما كنا قد عمدنا إلى تقسيط ثمنهما لثلاث سنوات، حتى الطناجر لم يبق منها شيء..».

مصدر عسكري خاص تحدث (لجريدة حرية) عن ممارسات مشابهة تقوم بها قوات النظام في المناطق التي تسيطر عليها، يحدثنا المصدر عن ضابط وصل إلى إحدى قطعات جيش النظام في حلب، وبعد أيام يطلبه وعدد من زملائه العميد محمد خضور، حيث يأمره بقيادة مجموعة من اللجان الشعبية ومرافقة قوات النظام بعد الاقتحام بغاية القتل والسرقة والنهب، وعندما يتهرب هذا الضابط من هذا الأمر، يعلق عليه (وجهك مو وجه رزقة). وطبعا لولا الوساطات التي حدثت لكان هذا الضابط الآن في السجن بتهمة الخيانة، لأن العميد خضور هو الحاكم الأوحد في حلب فهو يسجن ويحاكم ويقتل ويفعل مايريد .

ويكمل مصدرنا، هناك ضابط كبير من جيش النظام اسمه (إحسان) قام بسرقة ٤ كغ ذهب من محل للذهب في حلب، وطبعا مازال حتى الآن في مكانه متابعا عمله في القتل والسرقة.

والمسافر العابر لحمص، أو لما تبقى منها سيرى بالعين المجردة منطقة (دير بعلبة) : القصف والحرائق والخراب الذي تركته أعمال قوات النظام التي أكملت أعمالها بسرقة كل شيء في هذه المنطقة، فحتى المحال التي لم تشهد مواجهات عسكرية تم خلعها وسرقتها. في هذا المنطقة التي ادعى النظام أنها صارت آمنة. حتى طائر السنونو لم يدخل إليها هذا العام.

والشرح يطول فالسرقات مستمرة في كل مكان تدخله قوات النظام السوري، وليس آخرها قرية المفكر في الريف الشرقي في حماه، ورغم كل المخاطر التي تتهدد السوريين، إلا أن الخطر الأكبر عليهم هو بقاء هذا النظام كعصابة كبيرة.

تدفق أعداد كبيرة من السوريين إلى إقليم كردستان العراق

مفوضية شؤون اللاجئين ١٦ آب ٢٠١٣

ذكرت المفوضية بأنّ آلافاً من السوريين تدفقوا إلى شمال العراق في تحرك مفاجئ عبر جسر تم تشييده مؤخراً، في وقت يستمر فيه ارتفاع أعداد الأشخاص الفارين من الحرب. وذكر مسؤولون ميدانيون في المفوضية أن مجموعة أولى مؤلفة من نحو ٧٥٠ شخصاً من السوريين عبرت الجسر العائم عند منطقة بيشخابور على نهر دجلة ثمّ تلتها مجموعة أكبر بكثير بلغت من ٥،٠٠٠ إلى ٧،٠٠٠ شخص.

وقال المتحدث باسم المفوضية ادريان ادواردز في مؤتمر صحفي في جنيف «إن العوامل التي أدت لهذا التحرك المفاجئ ليست واضحة تماما بالنسبة لنا في هذه المرحلة واعتباراً من هذا الصباح لم نشهد مزيداً من التدفق على نطاق واسع». وذكرت تقارير بأنّ بعض السوريين انتظروا قرب نهر دجلة لمدة يومين أو ثلاثة أيام، وخيموا في موقع مؤقت. وشهد مراقبو المفوضية على الحدود عشرات من الحافلات على الجانب السوري وهم ينزلون مزيداً من الأشخاص الذين يسعون لعبور الجسر.

وقال ادواردز بأن جانبي الحدود السورية والعراقية عند معبر بيشخابور عادة ما تكون محكمة السيطرة وأن الغالبية العظمى من القادمين الجدد تشتمل على عائلات من النساء والأطفال والمسنين، معظمهم من حلب وعفرين والحسكة والقامشلي. وقالت بعض الأسر للمفوضية بأن لديهم أقارب يقيمون في شمال العراق، فيما قال بعض الطلاب إنهم يدرسون في شمال العراق وعادوا فقط إلى سوريا خلال عطلة عيد الفطر الأخيرة. كما قامت المفوضية وشركاؤها والسلطات بتوفير الماء والغذاء؛ فيما قدمت المنظمة الدولية للهجرة وحكومة إقليم كردستان مئات من الحافلات لنقل اللاجئين إلى دهوك وأربيل. وفي أربيل، تم إيواء حوالي ٢،٠٠٠ من القادمين الجدد في موقع في بلدة كاورغوست حيث أقامت المفوضية مركزاً مؤقتاً للاستقبال. وتم إيواء بعض القادمين الجدد في خيام مثبتة مسبقاً من قبل المفوضية، في حين أفيد بأن وافدين آخرين يقيمون في المساجد أو مع الأقارب والأصدقاء الذين يعيشون في المنطقة. وحتى تاريخه، وصل عدد السوريين الفارين من الحرب والمسجلين كلاجئين أو طلبوا التسجيل لدى المفوضية إلى ١،٩١٦،٣٨٧ لاجئ، وصل ثلثاهم هذا العام، هم أكثر من ٦٨٤،٠٠٠ لاجئ سوري في لبنان، و ٥١٦،٠٠٠ في الأردن، و ٤٣٤،٠٠٠ في تركيا، و ١٥٤،٠٠٠ في العراق و ١٠٧،٠٠٠ في مصر.

للإطلاع:

www.unhcr-arabic.org/521084516.html

عدد الأطفال من اللاجئين السوريين يصل إلى المليون

مفوضية شؤون اللاجئين ٢٣ آب ٢٠١٣

جنيف/نيويورك- مع دخول الحرب في سوريا عامها الثالث، سجلت الأزمة رقماً جديداً محزناً؛ فقد أُجبر مليون طفل سوري على الفرار من ديارهم كلاجئين. وقال المدير التنفيذي لليونيسيف، أنتوني ليك: "إن وصول عدد الأطفال اللاجئين إلى المليون ليس مجرد رقم آخر، بل إن هؤلاء هم أطفال حقيقيون انتُزِعُوا من ديارهم، وربما من أسرهم، ويواجهون أهوالاً لا بد من إدراكها".

وأضاف ليك: "علينا جميعاً أن نتقاسم هذه الحقيقة المخزية، لأننا في الوقت الذي نعمل فيه من أجل التخفيف من معاناة أولئك الذين تضرروا من هذه الأزمة، فقد فشل المجتمع الدولي في تحمل مسؤوليته تجاه هؤلاء الأطفال. علينا أن نتوقف وأن نسأل أنفسنا، بكل ما تمليه علينا ضمائرنا، كيف يمكننا الاستمرار في خذلان أطفال سوريا". من جانبه، قال المفوض السامي للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، أنطونيو غوتيريس: "ليس هناك ما هو أكثر أهمية من نجاة جيل من الأبرياء ورفاههم.

يفقد شباب سوريا منازلهم وأفراد عائلاتهم ومستقبلهم. وحتى بعد أن يعبروا الحدود إلى بر الأمان، فإنهم يعانون من الصدمة والإحباط ويكونون بحاجة إلى ما يعيد لهم الأمل". ووفقاً للمنظمتين، يشكل الأطفال نصف عدد اللاجئين جراء الصراع في سوريا. وقد وصل معظمهم إلى لبنان والأردن وتركيا والعراق ومصر. ويفر السوريون بشكل متزايد إلى شمال إفريقيا وأوروبا. وتشير أحدث الأرقام إلى أن أكثر من ٧٤٠،٠٠٠ طفل من اللاجئين السوريين هم دون سن الحادية عشرة. وفي سوريا، وفقاً لما أوردته المفوضية السامية للأمم المتحدة لحقوق الإنسان، فقد قُتل ما يقرب من ٧،٠٠٠ طفل أثناء الصراع. وتقدر المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين واليونيسيف وجود أكثر من مليوني طفل تعرضوا للنزوح داخلياً في سوريا.

ولا تعتبر الأضرار الجسدية والخوف والتوتر والصدمات النفسية التي تعرض لها الكثير من الأطفال سوى جزءاً من

الأزمة الإنسانية. وتسلط المنظمتان الضوء على ما يتعرض له الأطفال اللاجئون من تهديدات تتعلق بعمالة الأطفال والزواج المبكر وإمكانية الاستغلال الجنسي والإتجار بالبشر. فقد قام أكثر من ٣،٥٠٠ من الأطفال الموجودين في الأردن ولبنان والعراق بعبور الحدود السورية إما وهم غير مصحوبين أو منفصلين عن عائلاتهم. وقد شهدت أكبر عملية إنسانية في التاريخ قيام كلٍّ من المفوضية واليونيسيف بحشد الدعم من أجل ملايين العائلات والأطفال المتضررين. فعلى سبيل المثال، تم هذا العام تطعيم أكثر من ١،٣ مليون طفل في تجمعات اللاجئين والمجتمعات المضيفة في البلدان المجاورة ضد الحصبة بدعم من اليونيسيف وشركائها. وتلقى ما يقرب من ١٦٧،٠٠٠ طفل لاجئ مساعدات نفسية، كما تمكن أكثر من ١١٨،٠٠٠ طفل من متابعة التعليم داخل المدارس الرسمية أو خارجها، فيما تم توفير إمدادات المياه لما يزيد عن ٢٢٢،٠٠٠ شخص. وقامت المفوضية بتسجيل جميع الأطفال البالغ عددهم مليون طفل حيث منحتهم بطاقات شخصية. كما تساعد المفوضية الأطفال المولودين خارج أوطانهم في الحصول على شهادات ميلاد، الأمر الذي يحول دون أن يصبحوا من عديمي الجنسية. وتعمل المفوضية أيضاً على أن تعيش جميع العائلات والأطفال اللاجئين في مأوى آمن. وتقول المنظمتان إنه لا يزال هناك المزيد من العمل الذي يجب القيام به. فقد تم تمويل ٣٨٪ فقط من خطة الاستجابة الإقليمية للاجئين السوريين، والتي تناشد من أجل الحصول على مبلغ ٣ مليارات دولار أمريكي للتصدي للاحتياجات الملحة للاجئين وذلك حتى شهر ديسمبر/ كانون الأول من العام الحالي.

وسبق أن طالبت الأمم المتحدة وشركاؤها بتوفير أكثر من ٥ مليارات دولار أمريكي من أجل سد الاحتياجات الناجمة عن الأزمة السورية، إلى جانب المتطلبات الحيوية الخاصة بالتعليم والرعاية الصحية وغيرها من الخدمات الموجهة للأطفال. كما يجب تخصيص المزيد من الموارد من أجل إعداد شبكات متينة لتحديد الأطفال اللاجئين المعرضين للخطر وتوفير الدعم لهم ولمجتمعاتهم المضيفة.

ولكن المزيد من الأموال ليست إلا جزءاً من الاستجابة المطلوبة لسد احتياجات الأطفال. ومع الحاجة إلى جهود مكثفة لإيجاد حل سياسي للأزمة في سوريا، يجب أن تتوقف أطراف الصراع عن استهداف المدنيين وأن تكف عن تجنيد الأطفال. وينبغي أن يكون الأطفال وعائلاتهم بمأمن أثناء مغادرة سوريا، ويجب أن تبقى الحدود مفتوحة لكي يتمكنوا من العبور إلى بر الأمان. للإطلاع:

www.unhcr-arabic.org/521667ec6.html

الكيماوي طريقاً إلى جنيف!

محمد سليم

لم يستطع الأخضر الإبراهيمي، الوسيط الأممي في الأزمة السورية، أن يكتم تفاؤله إثر استخدام الكيماوي في الغوطتين.

الرجل عزا، واستنكر، وشجب، وأبدى أسفه، وعبر عن قلقه.. قبل أن يقفز إلى هذا الاستنتاج الوردي: «حادثة الكيماوي سوف تسرع من عقد جنيف٢»!

جاء هذا على لسان المتحدثة باسم مبعوث الجامعة العربية والأمم المتحدة، خولة مطر، التي قالت في مؤتمر صحفي إنه يعتقد أن الهجوم الكيماوي المزعوم في سورية يسرع الإعداد لعقد مؤتمر دولي للسلام في جنيف.

وصرحت مطر من جنيف «إنه يعتقد أن التصعيد الاخير والحدث الجلل الذي وقع في سورية، في ريف دمشق قرب العاصمة، يجب أن يبرز الحاجة الملحة الى عقد جنيف ٢ والمضي قدماً في المحادثات السياسية، ويجب أن يثبت للعالم أنه لا يوجد حل عسكري».

بل أن الإبراهيمي، ولفرط ثقته بهذه النبوءة المشرقة، لملم أغراضه وتأبط ملفاته وتوجه إلى جنيف، ليقيم هناك في انتظار المؤتمر الذي يعتقد أنه صار حتمياً..

لا نعرف كيف يفكر الوسيط الأممي المخضرم، ولا نعرف بالتالي كيف توصل إلى هذا الرابط العجيب بين الحدثين، فكيف يكون الكيماوي طريقاً إلى مؤتمر سلام؟!

لم نكن ننتظر هذا الموقف الأخير لندرك أن مهمة الإبراهيمي قد دخلت مرحلة العبث، فقد عودنا هذا الوسيط أن ينام شهوراً طويلة، ثم يصحو فجأة ليطلق تصريحاً غريباً يوحي بأنه يعيش في عالم افتراضي من صنع خياله، منبت الصلة عن الواقع..

ربما يكون الدبلوماسي الجزائري قد مل من الجلوس في غرفة الانتظار، حيث يترقب اتفاقاً روسياً أمريكياً يغدو، يوماً بعد يوم، أكثر صعوبة وأبعد منالاً.

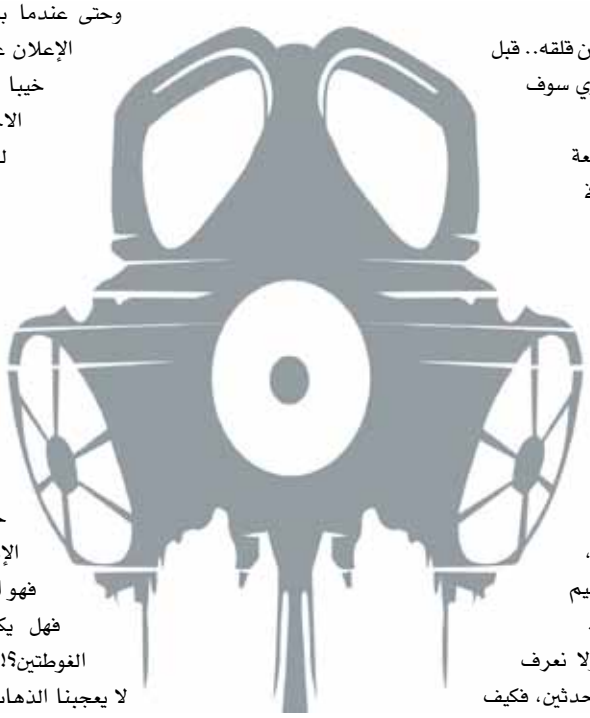

وحتى عندما بدت الفرصة سانحة ليستيقظ على عمل ما، إثر الإعلان عن اجتماع أمريكي روسي في لاهاي، فإن الطرفين خيبا أمله، إذ أخبراه بأن وجوده غير ضروري، وأن الاجتماع مغلق، وباب لاهاي موصد دونه..

لنجاري الإبراهيمي، والعالم برمته، وندعي أننا لا نعرف من استخدم الكيماوي، ولكن بما أننا لا نؤمن بوجود الأشباح، فلا بد إذاً أن يكون أحد طرفي الصراع هو من ضرب الكيماوي.. فكيف يكون هذا الطرف، الذي وصل إلى هذا الحد من استعمال العنف، جاهزاً للجلوس على طاولة مفاوضات؟

وإذا كان من استخدم الكيماوي قد فعل ذلك جهاراً نهاراً، وعلى الملأ وأمام أعين العالم برمته، فما هي القوة التي ستجبره على الجنوح إلى السلم؟

يعتقد البعض أن المفتاح الأساسي لمعرفة حقيقة حادثة الغوطتين هو السؤال عن المستفيد، وبما أن الإبراهيمي هو الوحيد الذي وجد للكارثة فائدة ما، فهو المستفيد إذاً.

فهل يكون الإبراهيمي هو من ضرب الكيماوي على الغوطتين؟!

لا يعجبنا الذهاب إلى هذا الحد، ولو على سبيل السخرية، وبالطبع هذا لا يعجب السيد الإبراهيمي أيضاً، ما يتطلب منه مراجعة استنتاجاته ووضع الأمور في نصابها، فمجزرة الغوطتين البشعة تضع وساطته، ومؤتمره، وهو شخصياً، في مهب الريح.. بالأحرى: في مهب الكيماوي.

نشر البلية..

ياسر عطا الله

ثمة ردود فعل طريفة على استخدام الكيماوي في غوطتي دمشق، هذا إذا أمكن لأي شيء أن يكون طريفاً في هذه الظروف المأساوية..

موقف طريف جاء من إيطاليا، فقد نقلت وكالة (آكي) عن وزيرة الخارجية الإيطالية إيما بونينو، قولها إنه «من الضروري توضيح الأمور حول اتهام الحكومة السورية باستخدام الأسلحة الكيماوية لأنه من الواضح أن نظام دمشق والروس يقدّمون نظرة أخرى للأحداث مثيرة للاهتمام إلى حد ما».

النظرة الروسية والسورية المثيرة للاهتمام هي أن عناصر المعارضة هم الذين استخدموا الكيماوي، فقتلوا المئات من نسائهم وأطفالهم، ثم صوروا كل ذلك بالكاميرات التي في متناولهم، سعياً إلى تشويه صورة النظام وكسب تعاطف العالم!

وقد توقفت وزيرة الخارجية الإيطالية عند دليل خطير للغاية، وهو «نفي الحكومة السورية استخدام الكيماوي»!، ويبدو أن الوزيرة كانت تنتظر من الحكومة السورية أن تسارع إلى الاعتراف بالمجزرة، وبما أنها لم تفعل ذلك فلا بد أن المسألة فيها وجهة نظر أخرى!!

موقف لا يقل طرافة خرج من الفاتيكان، قلعة الإيمان الكاثوليكي وأحد حصون الإنسانية في العالم، إذ قال المراقب الدائم للفاتيكان في الأمم المتحدة، سيلفانو توماسي، في مقابلة مع إذاعة الفاتيكان: «يجب عدم إصدار حكم إلا بعد وجود دليل كاف». وأضاف: «ما هي المصلحة المباشرة لحكومة دمشق في التسبب في مثل هذه المأساة؟. السؤال الحقيقي هو من هو المستفيد الحقيقي من هذه الجريمة اللا إنسانية؟».

ورغم أن توماسي لم يقل لنا من هو هذا المستفيد من وجهة نظره، لكن الواضح أنه يشير إلى المتطرفين الإسلاميين، الذين آمن الفاتيكان بوجودهم منذ اليوم الأول للثورة، وذلك قبل أن يؤمن النظام السوري نفسه بذلك!

والغريب أن مراقب الفاتيكان يغدو ملكياً أكثر من الملك إذ يطالب بـ «إجراء مفاوضات من دون شروط مسبقة».. قبل أن ينضم إلى جوقة المشككين بالجزيرة والعربية منتقداً «تحليلات الاعلام غير المكتملة للوضع في سورية والشرق الاوسط في شكل عام». ومسك الختام في مقابلة المسؤول الفاتيكاني هو تحليله (العميق) لجوهر المشكلة السورية: «هناك انقسام واضح بين من يريدون حكومة سنية في سورية، ومن يريدون الابقاء على مشاركة جميع الأقليات»!.

ثمة مثل مشهور ينطبق بدقة على نيافة المراقب الفاتيكاني: «لا يمتلك الشجاعة ليقول الحقيقة، ولا الوقار ليبقى صامتاً».

غير أن الموقف الأطرف يبقى الموقف الأمريكي، فقد قالت المتحدثة باسم وزارة الخارجية الأمريكية، جين ساكي، إن «الولايات المتحدة غير قادرة على القول في شكل قاطع إن أسلحة كيماوية استخدمت في هجوم مزعوم بالغاز قرب دمشق»، وقالت ساكي للصحافيين: «نحن غير قادرين في هذا الوقت على القطع باستخدام أسلحة كيماوية».

ولكن المتحدثة عادت لتطمئننا بأن «الرئيس الاميركي باراك اوباما أمر أجهزة المخابرات بالعمل في شكل عاجل على جمع معلومات للمساعدة في التأكد من المزاعم»..

ويبدو أن السيدة ساكي نسيت أن رئيسها كان منذ شهور طويلة قد كلف أجهزة استخباراته بالمهمة نفسها، وهي عادت إليه بأدلة مثبتة خرج هو وتحدث عنها مراراً دون أن يتبع ذلك بأي تحرك..

إذا كان المراقب الفاتيكاني ووزيرة الخارجية الإيطالية مستجدين في كوميديا المواقف الدولية، فإن أوباما رسخ نفسه نجماً كوميدياً من طراز رفيع.

ثالوث المحنة السورية: إيران.. إسرائيل.. أمريكا

هشام القاسم

بالنسبة إلى كثيرين، فإن العلاقات الأمريكية ـ الإيرانية ترقى إلى مستوى اللغز.

التصريحات المتشنجة والتهديدات المتبادلة، والصراع اللفظي المحتدم.. ليست، في رأي هؤلاء، إلا الطافي من جبل الجليد، أما في الجزء المختفي تحت الماء فثمة أمور أخرى مختلفة تماماً: اتصالات دائمة، وحوار لا ينقطع، وتفاهم على قضايا كثيرة، بل وتنسيق تام في بعض الأحيان..

وهكذا يحار كثير من المراقبين في تقديم توصيف دقيق لحقيقة العلاقة الأمريكية ـ الإيرانية. هل هي عداء فعلي وصراع مفتوح؟ أم تعاون خفي يتقنع بعداوة شكلية؟ أم هي مزيج من هذا وذاك، وفقاً للظروف وتبعاً للمصالح؟

ثمة حدثان يبرران تجاوز المظاهر الخادعة والبحث في العمق. أولهما احتلال الولايات المتحدة لأفغانستان وقضاؤها على طالبان (العام ٢٠٠١)، وذلك بتنسيق عالي المستوى مع إيران التي لم تكتف بإعلان الحياد وعدم عرقلة العمليات الأمريكية، بل أنها، كما صار ثابتاً، قدمت دعماً مادياً ولوجستياً هاماً. والحدث الثاني هو الاحتلال الأمريكي للعراق (العام ٢٠٠٣)، حيث عملت إيران، وبعكس خطابها المعلن، على تمهيد الأرض أمام الأمريكيين، ثم ضغطت على حلفائها العراقيين ليتعاونوا مع سلطة الاحتلال ويسهلوا عملها.. وفي كلا المثالين، فإن الأمر لم يقتصر على تواطؤ غير معلن، بل تعداه إلى تنسيق مسبق وفق اتفاق محدد وتفصيلي يراعي مصالح الطرفين.

هناك اليوم من يضيف مثالاً ثالثاً على وجود تنسيق إيراني ـ أمريكي، وبالتالي ـ إيراني إسرائيلي، والمقصود هو الأزمة السورية. فليس صحيحاً أن الولايات المتحدة وإسرائيل تقفان عاجزتين أمام التغلغل الإيراني في سوريا، وليس صحيحاً كذلك أنهما تريدان استنزافها في هذه المعركة الشرسة والطويلة، بل الواقع أنهما تنظران بعين الرضا والتفهم إلى ما تفعله إيران في الساحة السورية على اعتبار أنه يخدم مصلحتيهما ولا يتعارض مع توجهاتهما الاستراتيجية.

إيران، بركوبها المد الشيعي، تؤجج نزاعاً سنياً شيعياً سوف يقسم المنطقة برمتها، ويخلق خط صراع جديد لن تكون إسرائيل طرفاً فيه، كما أنها ترفع الضغط عن الحدود الشمالية لإسرائيل بإشغالها حزب الله في معركة بعيدة عنها، والأهم أنها تساهم في تفتيت الكيان السوري، وربما في تقسيمه لاحقاً، وهو ما يجد قبولاً مؤكداً من إسرائيل دون أن يتعارض مع المصالح الأمريكية، وإذا ما خرجت إيران بحصة ما من صراعها الدامي فهي ستكون جاهزة لوضعه على طاولة التفاهم والمقايضة مع واشنطن..

ولكن هل يقتصر الأمر على تفهم متبادل للمصالح يتطلب غض نظر وحسب، أم أن هناك تنسيقاً خفياً واتفاقاً سرياً؟ تبرز هنا إشارتان دالتان: فهل يمكن لإيران أن تكون قد سحبت عدداً لا يستهان به من عناصر حزب الله من حدود إسرائيل إلى سوريا دون أن تضمن مسبقاً موقفاً إسرائيلياً مواتياً؟

يقال في هذا السياق إن الروس لعبوا دور الوسيط بين طهران وتل أبيب، فانتزعوا من الإسرائيليين وعداً بعدم القيام بأي عمل عسكري على الحدود اللبنانية مستغلين انشغال حزب الله في الحرب السورية.

الإشارة الثانية تتلخص أيضاً في سؤال:

هل يمكن لإيران أن تغامر بإدخال قوات من حرسها الثوري، وبضخ عتاد وأموال إلى الأراضي السورية، دون أن تكون قد تأكدت سلفاً بأن كل ذلك لن يكون في مرمى النيران الإسرائيلية أو الأمريكية؟

يلقي كتاب الأمريكي تريتا بارسي (التحالف الغادر: التعاملات السريّة بين إسرائيل وإيران والولايات المتّحدة الأمريكية) المزيد من الضوء على خفايا العلاقة التي تربط الأطراف الثلاثة.

ويقدم الكاتب، وهو أستاذ للعلاقات الدولية في جامعة (جون هوبكينز)، توثيقاً للاجتماعات السرية العديدة التي عقدت بين إيران وإسرائيل في عواصم أوروبية، «اقترح فيها الإيرانيون تحقيق المصالح المشتركة للبلدين من خلال سلة متكاملة تشكل صفقة كبيرة».

ويقول إنه أثناء الغزو الأمريكي للعراق (العام ٢٠٠٣)، كانت إيران «تعمل على إعداد اقتراح جريء ومتكامل يتضمن جميع المواضيع المهمة ليكون أساسا لعقد صفقة كبيرة مع الأمريكيين».

وشمل العرض الإيراني «والذي أرسل إلى واشنطن عبر وثيقة سريّة، مجموعة مثيرة من التنازلات السياسية التي ستقوم بها إيران في حال تمّت الموافقة على الصفقة الكبرى والتي تتناول عددا من المواضيع منها: برنامجها النووي، سياستها تجاه إسرائيل، ومحاربة تنظيم القاعدة».

وتضمّنت الوثيقة السريّة، والتي حملها الوسيط السويسري تيم جولدمان إلى الإدارة الأمريكية أوائل أيار عام ٢٠٠٣، قيام إيران باستخدام نفوذها في العراق لتحقيق الأمن والاستقرار وتشكيل حكومة غير دينية.

كما وافقت إيران على إيقاف دعمها لفصائل المقاومة الفلسطينية والضغط عليها لإيقاف عملياتها الفدائية ضدّ قوات الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

و«كان من أهم بنود الوثيقة السرية هو التزام إيران بتحويل حزب الله اللبناني إلى حزب سياسي منخرط بشكل كامل في الإطار اللبناني. وكذلك قبولها بإعلان المبادرة العربية التي طرحت في قمّة بيروت عام ٢٠٠٢، والتي تنص على إقامة دولتين والقبول بعلاقات طبيعية وسلام مع إسرائيل مقابل انسحابها إلى ما بعد حدود ١٩٦٧».

وإذا كان صقور الإدارة الأمريكية حينها (خاصة رامسفيلد وتشيني) قد أحبطوا الصفقة الكبرى التي كانت إيران تطمح لعقدها مع واشنطن، فإن فترات عديدة من «الاقتراح الجريء» الإيراني قد وجدت طريقها إلى التنفيذ، وهو ما بدا جلياً في ساحات مختلفة سرى فيها التفاهم الإيراني ـ الأمريكي: أفغانستان، العراق، لبنان..

فهل يكون شيء مماثل قد حدث مؤخراً في شأن سوريا؟

من المبكر القطع بإجابة في هذا السياق، ولكن الثابت، إلى الآن، أن غض النظر وتجنب الاحتكاك هو السائد في علاقة الأطراف الثلاثة (إيران والولايات المتحدة وإسرائيل) على الساحة السورية. فلا إسرائيل والولايات المتحدة تضيقان الخناق على الوجود الإيراني، ولا إيران، بالمقابل، تهدد مصالحهما أو تتجاوز الخط الأحمر (الحدود الإسرائيلية)..

ومن غير الواضح بعد إن كان غض النظر هذا نتيجة لتفاهم مبرم، أم أنه تمهيد لتفاهم قيد الإنجاز، أم أنه تجنب احتكاك مؤقت قد يتحول في لحظة ما إلى صدام..

على كل حال، وحتى مع وجود تنسيق من نوع ما، فإن ذلك يجب ألا يقودنا إلى تبني النظرية التي تقول بوجود «مؤامرة فارسية صهيونية أمريكية معدة منذ زمن بعيد ضد الأمة العربية».

ويجب ألا ننظر إلى هذا التفاهم على أنه تحالف مقدس محصن من الشقاق والتغيير.

إنها السياسة والعلاقات الدولية ولعبة المصالح، ولنتذكر إنه في زمن الحرب الباردة، وفي ذروة الصراع الأمريكي السوفييتي، فإن نوعاً من التفاهم والتنسيق والحوار السري كان سارياً، جنباً إلى جنب مع التنافس والنزاع والمغالبة.

حرية – العدد (٥١) ٢٠١٣/٨/٢٦

«عنب» تحتفي بأم الشهيد وبالعمل السلمي في زمن الحرب

يارا بدر

يتهم الكثيرون الثورة السورية بما حاول النظام السوري وصمها به منذ شرارتها الأولى باعتبارها حراكاً مُسلحاً إمّا لجماعات إرهابية- دينية الطابع، أو لعصابات مُسلحة. في الوقت الذي يتجاهلون فيه حراكها السلمي، أو يتناسون قوائم نشطائها السلميين الذين ما زالو يقبعون في سجون النظام السوري بانتظار محكمة الإرهاب، أو مقصلة المحكمة الميدانية العسكرية، أو حتى هم مجرّد مفقودين في الأفرع الأمنية. أمّا الموت، فقد غيب منهم الكثير، واعتبر بعض المتابعين أنّ التعذيب الوحشي الذي تعرّض له الناشط السلمي «غيّاث مطر» بعد أربعة أيام فقط من اعتقاله من قبل قوى المخابرات الجوية بتاريخ ١٠ أيلول ٢٠١١، كان أحد نقاط تحوّل الحراك السلمي في سوريا إلى حراك مُسلّح، وكان مطر قد عُرِفَ بتقديمه الورد والماء لقوات النظام التي تواجه المظاهرات السلمية في داريا.

بعيداً عن كل هذا السجّال الذي يحتمي بالتاريخ حيناً ويتناساه حيناً، ظهرت في سوريا مجموعة من الحركات المدنية التي التزمت بالعمل السلمي منذ بدايات الثورة ولا تزال، ومن أبرزهم حركة «عنب» التي بدأت عملها في أوائل ٢٠١٢، كحركة مدنية قوامها عمل الشباب السوري التطوعي، والذي يمتد من التوعية الحقوقية إلى العمل الإغاثي. تعرّف «عنب» عن نفسها بالتالي: (بعد طمس كل مظاهر المجتمع المدني و على مدى أربعة عقود، نجد أن الحاجة ملحّة في هذه المرحلة الحساسة من تاريخ سوريا لوجود حركات مدنية تهتم بالشأن العام و تحاول ملء الفراغ الاجتماعي و الثقافي المتجذّر في مجتمعنا... ومن هنا ولدت فكرة «عنب». تسعى حركة «عنب» إلى تفعيل حراك الشباب السوري و دعم العمل التطوعي و تطويره ليكون رافداً قوياً للجمعيات والمنتديات الخيرية والأنشطة الفردية، والتي تشكل في كل مفرداتها أبجدية الديمقراطية التي نسعى جميعاً لترسيخها في سوريتنا الحديثة. ونحن هنا نفتح هذا الباب أمام كلّ حر ليتحمل مسؤولياته في بناء مجتمع متماسك يتسم بالحيوية و تحكمه مؤسسات فاعلة في جميع مناحي الحياة، ويؤمن بالحرية وبالعدالة الإنسانية المنصوص عليها في مواثيق المجتمع الدولي وحقوق الإنسان. فنساهم بنشاطنا كأفراد في المجتمع المدني التطوعي الحضاري بتشكيل وعي الآخرين و مساعدتهم على تخطي مشاكلهم). عملت «عنب» على نشر مفاهيم الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان المنصوص عليها في المواثيق الدولية من خلال حملة «اعرف حقوقك» التي اشتغلت على الفن واللوحات والبروشورات، أمّا نشر الوعي وإحياء ثقافة المجتمع المدني والتأكيد على أهميّة بقاء الحراك السلمي ونبذ التطرّف يتخذ أشكالاً عدّة، عبر صفحتهم التفاعلية على موقع «فيسبوك» أو عبر حملاتهم الميدانية، ومنها مؤخراً (احتفالية أم الشهيد) التي أقامتها «عنب» احتفالاً بالشهيد، بوالدة الشهيد وبالعمل السلمي في زمن الحرب. إذ تمّ فيها تكريم والدة الشهيد «باسل شحادة»، كتكريم باسمها لجميع أمهات الشهداء، وتكريم للعمل السلمي الثوري الذي برز فيه «شحادة».

كذلك كان الاحتفال محاولة لكسر قليل من قسوة الاغتراب، ففي دبي من مساء يوم ١٠ آب ٢٠١٣ اجتمع فنانون مثل يارا صبري والفنان التشكيلي صفوان داحول بالإضافة إلى ناشطين وسوريين مغتربين مع والدة الشهيد شحادة، وعُرِضَ فيلم «القربان» الذي أعدّه وأخرجه عروة الأحمد من مواد أرشيفية صوّرها شحادة بنفسه، فباسل شحادة مخرج سوري (١٩٨٤-٢٠١٢)، كان من أوائل الناشطين في الحراك السلمي في الثورة، اعتقلته قوات النظام لمشاركته في اعتصام المثقفين في منطقة الميدان- دمشق. بعدها سافر باسل إلى أميركا ليلتحق بمنحة «الفولبرايت» التي حازها ليتابع دراسته في الإخراج السينمائي، لكنه لم يلبث أن تخلّى عنها، ليعود إلى سوريا، إلى حمص أكثر النقاط سخونةً في الصراع القائم مع النظام، ويعمل بخبرته في التصوير وهو الذي صوّر الكثير من مظاهرات ريف دمشق وسواها. حتى استشهاده في استهداف قوات النظام السوري لحي «الصفصافة- باب السباع» في حمص بتاريخ ٢٨ أيار ٢٠١٢. فيلم «القربان» ومدته ستة دقائق تقريباً، يتكئ على قصيده بذات الاسم للشاعر الفلسطيني الراحل (محمود درويش ١٩٤١-٢٠٠٨)، تلك القصيدة التي أطلقها الدرويش بعد انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠، وما زال صوته الأثير يشدّنا من غصّة أحد لقطات جنّاز باسل الذي احتضنته كنيسة «أم الزنار» في حمص، حيث صورة فوتوغرافية كبيرة وبضع حضور ممّن استطاعوا الوصول إلى حمص المحاصرة، والصوت يقول:

(مُتْ.. لتعرف كم نحبك!

لك صورة المعنى.

فلا ترجع إلى أعضاء جسمك.

واترك اسمك في الصدى.. صفة لشئ ما).

وهذا ما كان. فكثيرون تعرّفوا إلى باسل في وفاته، باسل الذي اشتهر بعد وفاته بمقولته: (تخيّل نحن كم مرة سنعيش ثورةً في حياتنا، كيف لي أن أترك الحلم الذي بدأ يتحقّق؟ وماذا سأقول لأطفالي عندما يسألونني، هل أجيبهم: «عندما بدأت الثورة تركتُ وطني وذهبت لأهتم بمستقبلي»... أين هو هذا المستقبل من دون وطن حر ؟!).

يضيف مخرج الفيلم كلمات من حوار قصير أجراه باسل وهو في حمص، ترافق صورٌ باسل الذي لقبّه أصدقاءه بعد وفاته بـ«شهيد الطائفة السينمائية»، ثم ترتفع الموسيقى التي اختارها الأحمد من مؤلفات الموسيقار «جيمس هورنر»، ممزوجة بلقطات متبدلة في شريطه السينمائي عن رحلة باسل الشهيرة مع دراجته النارية التي أسماها «لينين» ورافقته حتى الهند.

ويعلو الصوت:

(فكن حلماً لنحلم.

×××××

لا تكن بشرا ولا شجراً

وكن لغزاً عصيا.

كن همزة الوصل الخفيفة بين

آلهة السماء وبيننا)

في الكلمات التي تأتي أسفل صور لباسل تحت الماء.. ينظر إلى هوّة سوداء تبتلع الماء المُتساقط على جسده، يُسأل:

هل التقينا كثيراً؟، ويكون الجواب: مرتين.. مرة في المطر، ومرة أخرى في المطر... وفي المرّة الثالثة لم نلتقِ إطلاقاً. لقد ذهبت بعيداً ونسيتك.

في مشاهد الفيلم الأخيرة يعود الأحمد ليختار صورة فوتوغرافية هي من أشهر ما صُنِعَ احتفاءً بباسل، ويعكس كل الفَقْد في غيابه، صورة كُتب عليها: (باسل رح يشتقلك الطريق). باسل الذي يختار الأحمد وصفه بالقربان في حب شديد لشاب سخر من ادعاءات الطائفية في سوريا حين لقيب نفسه ب «السفلي المسيحي»، ومع تتابع صوت درويش، وشعره المليء بالصور وزخم المعاني، تحمّل حكاية باسل المزيد من الدلالات، هو الذي اختار بشجاعة الذهاب إلى حمص القديمة، في الوقت الذي اختار فيه الكثيرون الرحيل حتى عن دمشق الآمنة وقتها من قصف القنابل والصواريخ.

ولا يبقى لنا إلا صوت محمود درويش:

(إذاً، كن ميتا حيا!

وحيا ميتا

ليواصل الكهان مهنتهم

وكن طيفاً خفيا.

ولتبق وحدك عاليا

لا يلمس الزمن الثقيل

مجالك الحيوي.

فاصعد ما استطعت

فأنت أجملنا شهيدا.

كن بعيدا ما استطعت لكي نرى

في الوحي ظلك، أرجواني

الخريطة

فالسلام عليك يوم ولدت

في بلد السلام

ويوم مت، ويوم تبعث من ظلام

الموت حيا)

«فحم أبيض» ليوسف عبدلكي في حريته

فداء يونس

أطلقت السلطات السورية، يوم الخميس الماضي، سراح الفنان التشكيلي السوري يوسف عبدلكي، بعد ٣٥ يوما على إعتقاله في أفرع المخابرات الأمنية، هو الذي اعتقل سابقا من أيار/ مايو ١٩٧٨ وحتى شباط/ فبراير ١٩٨٠، خلال حكم الأسد الأب، على خلفية انتمائه لرابطة العمل الشيوعي، وما بينهما عاش يوسف المنفى القسري في فرنسا قرابة ربع قرن ليعود إلى سوريا مجددا عام ٢٠٠٥.

تضامن مع الفنان عبدلكي أغلب مثقفي سوريا الأحرار، ومئات الفنانين والمثقفين والناشطين من مختلف أنحاء العام، وأصدر أكثر من ٧٠٠ فنان وكاتب ومخرج وصحفي من سوريا ودول عربية وأجنبية بيانا طالبوا فيه بالإفراج «الفوري» عن عبدلكي، ورفيقيه عدنان الدبس وتوفيق عمران اللذان اعتقلا معه.

أنا اليوم لن أكتب عن يوسف المناضل ضد الديكتاتورية والقمع، ولن أكتب عن يوسف الفنان في معارضته الأصيلة للنظام، فقد استوقفتني المقارنة بين صورة عبدلكي الذي نعرفه قبل الاعتقال، وصورة عبدلكي الذي خرج من المعتقل بعد ٣٥ يوما فقط، الأثر المدمر لهذا المكان في حياة البشر، ماذا فعل السجن بك يا صديقي، أو ماذا فعل بك الأنذال أيها الجميل، كيف زرعوا الشيخوخة في ملامح وجهك المضيء، كيف يحاولون قتل الحياة في سمكاتك التي انتشرت عبر العالم تطالب بحريتك، هكذا سنطالب باستعادة كل معتقلي الثورة قبل أن يأكلهم النسيان، سنطالب بكل المفقودين الذين اختطفهم الغياب لتحتفي الحياة بولادتهم من جديد، فالحرية تليق بالأحرار دائما.

وفي هذه المناسبة سرني أن يُطلق الصديق عامر مطر فيلمه الوثائقي القصير «فحم أبيض: تحية ليوسف عبدلكي» عن تجربته بين الفن والثورة، وهو كان مشروع حوار طويل بينهما، قطعه اعتقال الناشط عامر مطر قبل سنتين، ثم جاء اعتقال يوسف الأخير، ليحرض العودة إلى المقابلة .. (لأحاول صنع لوحة صغيرة من يومياتي معه في مرسمه الدمشقي في «حارة الورد») كما يقول مطر.

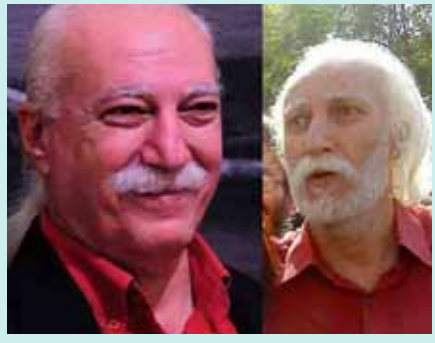

كاريكاتير العدد

أي درك من الانحطاط يقود إليه الأسد!

جورجيت أسعد

في لحظة انذهال العالم أجمع بالصور والفديوهات المنشورة لأعداد الضحايا، التي سقطت في مجزرة الكيماوي بالغوطتين، لكثافة الموت تسمما أو اختناقا، للموت الهلامي واللّذج بالغازات السامة، أجساد الأطفال التي تختلج أوتنتفض بحثا عن ذرة هواء يمكنها أن تعيد الحياة وسط لذوجة السائل والغازات الخانقة، قبل أن تذهب في عتمة الصمت والسواد، في هذه اللحظة التي حاول فيها النظام جاهداً أن يكذب الخبر، أن ينفي الواقعة، خرج موالوا النظام يعبرون عن ابتهاجهم بالمجزرة، يطلقون الزمامير وأبواق سياراتهم في عرس الانتصار على الطفولة المبادة وعلى الحياة المبادة، غير آبهين أن عرسهم هذا يشكل تكذيبا لنظامهم القاتل.

سوريون يغنون احتفالاً بمجزرة الكيماوي، مكبرات الصوت تصدح في منطقة البرامكة، أصوات الغناء والتصفيق في حديقة جامعة دمشق بعد ساعات من المجزرة تشفياً بموت السوريين، عرس تمتد ساحته من البرامكة إلى أعلى حي ال٨٦ في المزة جبل، عرس شارك فيه كثيرون من مؤيدي بشار، أو من مؤيدي النظام القاتل.

مشهد يعيد إلى الذاكرة صورة القرش حين يشمُّ رائحة الدم أو «يستدمي»، كيف يندفع باتجاه القتل، باتجاه افتراس الضحية، إنها شهوة الوصول إلى هاوية العدم، أناس استدموا وهم صادقون في مشاعرهم البائسة، وهم سوريون أيضاً سواء أسميناهم موالاة أم شبيحة أم ضراب السخن، سوريون فرحون وهم يرفعون أسلحتهم خارج السيارات التي جابت شوارع دمشق، غناءً وتصفيقاً وشعاراتٌ مؤيدة لبشار، مع مكبرات الصوت التي تزف البشارة لكل السوريين، أن نظامهم الآفل نجح أخيراً في استخدام السلاح الكيماوي لقتل أكثر من ١٣٠٠ سوري ٦٧ بالمئة منهم أطفالاً ونساءً، تزف البشارة أن الأسد الصغير بلغ ذروة تجرده من الإنسانيه، وأصبح يستطيع أن يمارس هواية القتل بالكيماوي أو الذري لو امتلكه، عرس الموالاة الآن يشبه احتفال بعض القبائل المنقرضة بالولادة، بالطهور، ببلوغ الذكر، فقد بلغ الأسد الصغير وأصبح قادرا على ارتكاب الجريمة بدم بارد.

رد فعل لايقدم أي مؤشر سياسي، ولا يقدم أي مؤشر عسكري أو أمني يفيد معنى الانتصار، بقدر ما يرسم ملامح انحطاط ثقافي وأخلاقي واجتماعي نزلنا إلى أسفل دركه السحيق، من يصدق أننا نحن السوريين كنا نختزن بداخلنا، ونحمل في أحشائنا، كل هذا القدر من الوحشية والكراهية، كل هذا القدر من الابتذال والضغينة!

كيف اعتاد هؤلاء السوريون على تقبل الجريمة، على موت إنسانيتهم؟ كيف اعتادوا على ألفة هذا الحقد والخوف والتعايش معهما؟ كيف يوزع هؤلاء البشر الحلوى ابتهاجا بمجازر نظامهم؟ كيف يطلقون زغاريد الشماتة بضحايا الغوطتين وأطفالهما؟ كيف تعلم هؤلاء السوريون من حزب الله وشبيحة السيد نصر الله توزيع الحلوى بعد مجزرة القصير، ليوزعوها بعد مجزرة الغوطتين؟

هل نعتب على فنانين طالبوا بقصف الكيماوي؟ أم نعتب على مثقفين حمّلوا الثورة والطليان وزر مأساتنا؟ أم نعتب على حسن عبد العظيم وهيئة التنسيق التي لم تتأكد بعد: مَنْ ضرب الكيماوي؟ وكيف نتجاهل إنسانيتنا ونحن نبحث عميقا عن حسّ المواطنة الذي شكل بوصلة لثورتنا التي هتفت منذ البداية: واحد واحد، الشعب السوري واحد.

هذه المجازر، على دمويتها تؤكد استحالة بقاء هكذا نظام مجرم في السلطة، وتؤكد صوابية الثورة التي طالبت برحيله، وإن تلكأ العالم يوماً في الوقوف إلى جانب الثورة، فهل نستمر بالهتاف كسوريين: واحد واحد.. الشعب السوري واحد.